النقـد الذاتـي

الحديث عن هذا الإنسان لا تكاد تنضب مصادره وتجف ينابيعه..إنه ذاك الذي يشغل كل صاحب عقل ويملأ خيال كل مواطن، بل تكاد تكون حقيقته المعضلة الكبرى التي تطرحها الأحداث بين أيدي الجميع..

من أول مقومات الشخصية لهذا الإنسان العربي الجديد، أن يكون إنسان الحرب بمعنى أن يتحقق في أخلاقه ومهاراته ومعارفه شروط التعبئة الكاملة التي تقتضيها مسؤولية المعركة. " معركة المصير "..

وأول ما يجب أن يعانيه هو جهاد النفس ولما كان النقد الذاتي كما يقول أدب التعبير الحديث، نوعاً من أنواع جهاد النفس وهو المحتوى الرئيسي لهذا الجهاد.

نحن ننقد أنفسنا نقداً ذاتياً حين نرتكب خطأ أو نواجه معضلة من المعضلات لم تكن في الحسبان.. وبمثل هذا النقد نتوصل إلى اكتشاف مواطن الخطأ وبالتالي نبادر إلى تجنب الوقوع فيها بعد ذلك..

والحقيقة أن شعوباً غيرنا قد اتخذت خطة النقد الذاتي، في أشخاص رجالها المبرزين ممن تحملوا مسؤوليات قيادية على مستويات مختلفة وفي أصعدة متعددة. وبالقدر الذي حقق فيه هؤلاء الرجال نجاحهم في محاسبة أنفسهم وتوضيح الغامض من الأحداث التي تحيط بهم، بهذا القدر نفسه قدموا لشعوبهم الخدمات الإيجابية البناءة.

ومَن مِن الناس لا يخطىء؟

مَن مِن القادة والمفكرين لم يتعثر في حياته مرة ومرات كثيرة، ثم لم يتعلم بعد ذلك من التجربة والخطأ.

إن الرجال الذين يملكون الجرأة على الإستفادة من التجربة والخطأ ويتميزون بالذكاء الذي يتيح لهم إمكانية التعرف إلى الحقائق من حولهم، هم وحدهم الذين رمزوا إلى الحيوية وفجروا العبقريات العلمية والفنية والقيادية في شعوبهم..

الضعفاء وحدهم هم الذين يخافون من الخطأ والتجربة، ولذلك فهم هيابون وجلون يتجنبون مواجهة المسؤوليات ويؤثرون العافية ويبحثون عن ملجأ يلجأون إليه يعيشون فيه على هامش جباه الأحياء..

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

والتائهون الضالون الذين لا تربطهم أية رابطة بمثل عليا كريمة، هم أيضا الذين يترددون في مواجهة التجربة والخطأ.. ذلك أنهم لا يشعرون بالحماسة ولا يهز ضمائرهم وجدان غني ولا تحاك عقولهم إرادة حية..

والتائهون الضالون هم الذين يفقدون الإيمان فهم يعيشون مع أنفسهم ولأنفسهم ويتحركون على طريقة من تحيط به دائرة مفرغة لا يدري كيف يخرج منها.

وهناك شروط نفسية لمن يواجه التجربة والخطأ بجرأة وشجاعة.

أول هذه الشروط وأهمها الثقة بالنفس والإيمان بأهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به في حياته.

ولما كانت العودة إلى تراث الأمة شرط الثورة العقلية والروحية لكل تقدم، فإن عودتنا نحن إلى تراث أمتنا العظيم هي وحدها التي تساعدنا على تحقيق ثورتنا العقلية والروحية..

وتراثنا الإسلامي غني بحق الله بالوقائع التي تزودنا بما تحتاج إليه.

أليس أن القرآن الكريم قد علمنا أن الإنسان هو أكرم خلق الله على الله.. وأن الله قد كرمه وسخر له ما في السماوات والأرض وما بينهما وحثه على التفكير فيها والنظر في أسرارها؟

أوَليس أن القرآن الكريم قد ميز تكريمه للإنسان باعتباره كائناً مسؤولاً يبدع أعماله ويخلقها ثم يسأل عنها أمام الله؟

أوَليس أن ملاك الإيمان كله هو هذه المسؤولية العاملة الرشيدة عن كل عمل من أعمال صاحبها؟

ولننظر ماذا يعني الإيمان بكرامة الإنسان وامتيازه على كل المخلوقات واعتباره مسؤولاً عن عمله..

أوَليس أن الذين انطلقوا وراء المجهول ثم الذين وضعوا أسس المعرفة؟

أوَليس الرجال الذي حققوا المشاريع الكبيرة وفجروا الأرض وغاروا[1] بجهودهم وأموالهم وأنفسهم من أجل رفع مستوى العيش، وحماية العنصر البشري، هم الذين حققوا المنجزات الكبيرة التي فخر بها الشعوب المتقدمة والذين صنعوا تاريخ البشرية الحضاري؟

وهل كان في وسع هؤلاء الأفذاذ من المواطنين أن يحققوا كل هذه المنجزات، لو لم يؤمنوا بأهمية وجودهم، ضرورة درء الخطر عن حياتهم، فلم يترددوا أمام العثرات والعقبات، بل اقتحموا الطريق غير مبالين بالنتائج، معتمدين على ربهم واثقين من النصر؟

هذه المعاني تطرحها أمام الآباء والأمهات.. ونسألهم عما فعلوه وهم المؤتمنون على مستقبل أبنائهم من أجل إيقاظ حس المسؤولية عندهم ودفعهم إلى مواجهة الحياة بالجرأة الكافية والأمل العريض؟

[1] - غاروا :نفعوا .يقال غارة بخير ويغوره ويغيره أي نفعة بخير.

هل يحاولون أن يفهموا هؤلاء الأبناء أن الحياة القوية الفتية، هي وحدها التي يصنعها العرق والجهد وسهر الليالي؟

هل يحاولون أن يتصرفوا معهم تصرف المعلم الذي يعد طلابه للاعتماد على أنفسهم والإستقلال بحياتهم استقلالاً يجنبهم الميوعة والكسل والأنانية؟

لقد تعلمنا نحن الكهول وقد ضربتنا الكوارث وواجهتنا النكبات أن السلاح الذي فقدناه بالأمس، هو سلاح الشخصية القوية الجادة..خسرنا كثيراً من المواقع لأننا جهلنا أهمية الإستعداد والدربة[2]. وخسرنا كثيراً من الوقت لأننا لم نكتشف أهمية هذا الوقت بالذات فكانت حياتنا عملية هروب حتى من المسؤوليات.

أبناؤنا فلذات أكبادنا.. إنهم استمرار وجودنا.. ومستقبلهم وحده سيأخذ الصورة التي نصنعها له بالتوجيه والقدرة الحسنة وبالتحرر من عناصر الضعف التي سميت لنا الفشل في الماضي..

إن في وسعنا أن نعلم هؤلاء الأبناء الذين وكلت إلينا أمانة إعدادهم لأن الحياة هي للإنسان الذي يحترم نفسه.. والإنسان الذي يحترم نفسه هو الإنسان المؤمن الذي يعطيه إيمانه معنى لحياته ويكشف عن جمال هذه الحياة وقدرتها على حماية نفسها من النكبات وصيانة ذاتها من العثرات والعقبات.

هذا الإنسان هو الذي يبني حياته بيديه ويغذيها بعقله ويصقلها بإرادته ويدفعها إلى الأمام وصلابة أعصابه ووضوح أفكاره..

لنعلم أبناءنا أن اليوم الذي لا يزدادون فيه معرفة وقوة هو يوم ضائع.. ولنعلمهم أن يسألوا أنفسهم مساء كل يوم وقد انصرفوا إلى أسرتهم ماذا قدموا من خير؟ وماذا حققوا من المنجزات والخدمات؟

لنعلمهم أن يحاسبوا أنفسهم على كل كلمة تصدر عنهم وعلى كل فكرة تخطر في بالهم.. وعلى كل صورة تمر في خيالهم..

إنهم وديعة بين أيدينا.... وللوديعة حرمتها.. فلا تجعلن منها متعه نتسلى بها ونفسدها بالتدليل المائع ولا نغذيها بالأفكار الأنانية التي تجعلها عالة على الآخرين..

الوديعة مسؤولية.. وقد عانينا من استهتارنا في الماضي بالمسؤوليات، الكثير من المتاعب فلا أقل من أن ننقل إلى الأبناء الذين هو وديعتنا حصيلة التجارب التي تمرسنا بها ولا أقل من أن تتحرر من الكسل الفكري والميوعة في العواطف والبلادة في التصرف..

---

[2] - والدربة: الجرأة والاعتياد على الشيء ومنها المدرب والتدريب.

إن التراب الوطني الذي تهتف له بأصواتنا الصارخة، والتراث الذي تخفق له قلوبنا.. والدين الذي نعتز به.. والأمجاد الكريمة التي تركها لنا الأجداد إرثا غاليا.. هذه كلها ليست أشياء تافهة. إنها نور العيون.. والدماء في الشرايين.. والخلجات في الجسد.. فهل نترك هذا كله فريسة للنوائب. وضحية للعواطف التي تأتينا من الخارج؟

لقد كتب الله على الإنسان أن يكافح ويناضل من أجل سلامة وتاريخ الحضارات والشعوب، وهو سلسلة من عمليات الكفاح والنضال.. والذين كتب لهم أن يكونوا فوق القمم وأن يقفوا في عين الشمس، هم الذين اختاروا أن يكونوا في مسيرة المكافحين المناضلين..

الحياة حلوة رائعة.. ولكن حلاوتها لا تستمر لأصحابها ما لم يدفعوا الثمن الذي هو الجهد والسهر والعمل الكريم والتقدم المستمر وتحقيق المكاسب..

كلنا نريد الثروة.. وكلنا نريد النجاح.. ولكن الثروة والنجاح كما أثبتت التجارب، هما اللذان نصنعهما بأيدينا ونعرق من أجل صيانتها والاستزادة منهما..

إن النقد الذاتي الذي يعني معاناة التجربة والخطأ، هو عملية شجاعة.. والشجاعة صفة الأحياء.. والأحياء وحدهم هم الذين ينتصرون على الموت والبلادة.

لذلك، عليكم أن تحاسبوا أنفسكم قبل أن يحاسبكم أبناؤكم ثم ربكم.. والحساب عسير أكان مصدره الأبناء أو الله..

لقد سكبنا الكثير من الدموع.. وواجهنا الكثير من الخيبات.. وهممنا في كل مرة وأمام كل كارثة، على التغلب والتعلم من التجارب والأخطاء.. وقد حققنا الكثير من الإنتصارات حتى اليوم.. ولكن الطريق طويل.. وهو يطول ما طالت بنا الحياة.. ولما كانت حياة أمتنا حياة طويلة فقد وجب أن نزرع كل شبر من طريقها بانتصار من الإنتصارات. فلننتصر على أنفسنا بأن ننشىء أبناءنا كما قال الإمام علي كرم الله وجهه لعصر غير عصرنا ولمسؤوليات أعظم من مسؤولياتنا.. فحياتنا في طابق صاعد.. والصعود مهمة الأقوياء.. فهلا كنا في مقدمتهم؟

لنتخلّق بالأخلاق التي نرضاها لأبنائنا.. ولنفتح لهم قلوبنا صريحة واضحة نحكي لهم حكاية الطريق التي اجتزناها حتى اليوم بكل ما فيها من المتاعب والعقبات.. وستجدون أن هؤلاء الأبناء جديرون بالثقة، حريون بحمل الأمانة وصيانتها على خير ما يكون الحمل والصيانة إن شاء الله..

إن نقدنا لأنفسنا بصراحة وصدق وشجاعة هو ملاك الأمر كله.. ولنا من عبادتنا اليومية ومن قرآننا وتعاليم نبينا محمد عليه السلام ما يشجعنا على القيام بهذا النقد بصوت مرتفع وبتفكير واضح قوي..